الموقف المغربي من الثورة الجزائرية بين جدلية التضامن والتصادم

The Moroccan Stance toward the Algerian Revolution: Between the Dialectic of Solidarity and Conflict

أ. د. رضوان شافو، جامعة حمه لخضر – الوادي[1]

redhouane-chafou@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/15 تاريخ القبول: 2025/02/30 تاريخ النشر: 2025/03/30

ملخص:

هذا المقال يعالج العلاقات التاريخية بين المغرب والجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وخصوصا خلال الثورة الجزائرية 1954 – 1962، ودورها في دعم المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وهذه الدراسة تسلط الضوء على جدلية التضامن والتصادم في الموقف المغربي من الثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات المغربية الجزائرية، الثورة الجزائرية، الاستعمار الفرنسي، دعم المقاومة الجزائرية، جدلية التضامن والتصادم.

Abstract (in English):

This article examines the historical relations between Morocco and Algeria during the colonial period, particularly during the Algerian Revolution (1954–1962), and highlights Morocco's role in supporting the Algerian resistance against French

[1] المؤلف المرسل

colonialism. It also explores the dialectic of solidarity and conflict in Morocco's stance toward the Algerian Revolution.

Keywords: Moroccan-Algerian Relations, Algerian Revolution, French Colonialism, Support for Algerian Resistance, Dialectic of Solidarity and Conflict.

مقدمة:

لقد لعبت الدول العربية دورا كبير في تدعيم الثورة الجزائرية منذ انطلاقتها سنة 1954 من خلال الدعم المادي والمعنوي اللامشروط، وهي حقيقة لا يختلف فيها اثنان، ومن ابرز مظاهر الدعم والتضامن العربي فتح الحدود لإدخال السلاح والذخيرة، وإدخال المواد الطبية وإسعاف المجاهدين الجرحى داخل الوطن وخارجه، والقيام بمظاهرات شعبية تؤيد حق تقرير مصير الشعب الجزائري، والقيام بتظاهرات لجمع الهبات والتبرعات للثورة الجزائرية ،زيادة على المتطوعين العرب الذين هبوا لنصرة الشعب الجزائري وللدفاع عنه بالنفس والنفيس، فتركوا أوطانهم وممتلكاتهم، والتحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني، وشاركوا معه في عدة معارك خلدت أسماءهم ، كما كان للدول العربية السّبق في فتح باب تدويل القضية الجزائرية على مصراعيه، والتعريف بثورة الشعب الجزائري في المحافل الدولية بدءً بمؤتمر الدول الافروآسياوية في باندونغ سنة 1955م، وهيئة الأمم المتحدة، والجامعة العربية، والمؤتمرات الاقتصادية العربية-الافروآسيوية، والمؤتمرات العالمية الطلابية... وغيرها من المظاهر المشرفة.

والحقيقة التاريخية أن انتصارات الثورة الجزائرية في بداية انطلاقها، وتطور تنظيماتها الداخلية والخارجية جعلها تفرض نفسها كمستلهم للشعوب العربية بعد تحدِّيها للحلف الأطلسي آنذاك، وأن تصبح محل اهتمام كل الشعوب المستضعفة والخاضعة للاستعمار الأجنبي ، واستطاعت أيضا التعبير عن بعدها المغاربي والقومي العربي من خلال التجاوب الكبير الذي أبدته معظم الدول العربية مدعّمة من طرف شعوبها الباحثة عن الانعتاق والحرية من ربقة الاستعمار الصليبي الغربي، بل يمكن القول أن الثورة الجزائرية كانت لبنَّة أساسية في توحيد الصف العربي، واستطاعت إلى حد كبير لم شمله ولو سياسيا، لذلك كان التجاوب كبيرا معها لدرجة جعلت بعض الحكومات العربية آنذاك تتمرد على النظام الغربي، بل وفي غالب الأحيان تتحداه من أجل هذه الثورة وتتوحد من أجل القضية الجزائرية.

غير أن المتتبع لمستوى تطور العلاقات بين الجزائر والبلدان العربية خلال الثورة، وخصوصا الدول المغاربية بعد حصولها على استقلالها، سيلاحظ حتما ذلك التباين والاختلاف في المواقف نتيجة لتهديدات وضغوطات السلطة الفرنسية الاستعمارية، تطبيقا " لسياسة فرق تسد"، وللقضاء على الثورة الجزائرية، وأخص بالذكر الموقف المغربي من الثورة الجزائرية، الذي اتسم بالودِّ والتضامن تارةً، وبالتصادم والتواطؤ تارةً أخرى، وهذا بناءً على بعض الكتابات المغربية منها كتاب "أبعاد الملك الحسن الثاني" لمؤلفه عيسى بابانا العلوي، والذي ذكر قائلا: « أن الأمير الحسن الثاني اشرف بعد مقتل المسعيدي[2] على ضم فرق جيش التحرير المغربي المنتشرة في الريف إلى القوات المسلحة الملكية وبسط سيطرته على مناطق مهمة كانت خاضعة لنفوذها، واطر العلاقة مع جيش التحرير الجزائري، وبذلك تجاوز الصعوبات الكبرى التي تقف في وجه فرض السيادة على المناطق المغرب الشمالية والشرقية.. » (العلوي، 1999، صفحة 239).

هذا بالإضافة إلى الشهادات الحيّة لبعض قيادات الثورة الجزائرية مثل الرئيس الراحل احمد بن بلّة الذي وجه شكوك اتهامه للملك الحسن الثاني باختطاف طائرة الزعماء الخمسة سنة 1956، وشهادة المجاهد الطيب الثعالبي المعروف باسم "السي علاّل"، والذي أكد شكوك احمد بن بلة في تورط الحسن الثاني في اختطاف الطائرة قائلا: «...عندما عاد الحسن الثاني ومعه والده محمد الخامس فكّر في أنّ ما فعلته فرنسا اتجاه العائلة هو منّة منها. ولهذا لم يشأ أن يُضيّع ما رآه فرصة. ولهذا فقد يكون له ضلع فيما حدث. ثمّ إنه وقع ما يُمكن أن يزيد الشكوك في إمكانية تورط الحسن الثاني إذ أنّ "البورتوكول" المغربي غيّر طائرة القادة في آخر لحظة، كما لو كان أخلط بين الطائرة الفرنسية وغيرها، وهذا أمر غريب...»[3]، زيادة على شهادة المجاهد والوزير دحو ولد قابلية (رئيس قدماء مجاهدي وزارة التسليح والاتصالات العامة-المالغ) الذي قال: «...إن الملك المغربي الراحل

[2] **عباس المسعيدي**: اغتيل في جويلية 1956 من طرف جماعة معارضة له بسبب مواقفه الرافضة لحل جيش التحرير المغربي، كما كانت له ارتباطات وثيقة بالجيش الجزائري على الحدود في إطار تنسيق الجهود العسكرية بين الطرفين ضد السلطة الاستعمارية.

[3] **الطيب الثعالبي:** من مواليد 1 أوت 1923، درس على يد والده الذي كان فقيها، وكان يملك مكتبة قيّمة استفاد منها كثيرا، كما تعلّم على يد أخيه الشيخ عبد الحفيظ الذي تتلمذ على يد العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعدها أصبح معلما في مدارس جمعية العلماء، في سنة 1943 انضم إلى صفوف الحركة الوطنية ،وكوّن الثعالبي أول خلية لحزب الشعب في سمندو(بلدية زيغوت يوسف حاليا)،بعدها التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في المنطقة الرابعة والخامسة إلى غاية تحقيق الاستقلال،انظر:.شهادة الطيب الثعالبي، 4 جويلية 2012، www.eldjzaironline.net

الحسن الثاني كان يتقاسم مع جيش التحرير الوطني الأسلحة المستوردة للثورة، ويطالب بأموال مقابل إدخالها إلى الجزائر...» (شهادة دحو ولد قابلية، 2008، صفحة 03)

فمن منطلق هاته الشهادات، ومن منطلق التطورات التي عرفتها العلاقات الثنائية بين الجزائر والمغرب عشية الاستقلال، وبعد استرجاع السيادة الوطنية، جعلني اطرح عديد التساؤلات تمحورت حول إشكالية جوهرية لمداخلتي وهي: ما حقيقة الموقف المغربي من الثورة الجزائرية؟ وكيف كانت العلاقات بين الشعبين خلال الثورة الجزائرية؟

1. التطور التاريخي للعلاقات الجزائرية المغربية منذ بداية احتلال الجزائر 1830:

تتفق معظم الكتابات التاريخية أن العلاقات بين المغرب والجزائر منذ البدايات الأولى لاحتلا الجزائر، عرفت تدبدبا بين التضامن والتصادم في عدة مجالات، ولازالت تلقى بضلالها إلى يومنا هذا، غير أن ما هو مؤكد أن المجتمع المغربي والجزائري كانا مجتمعا واحد بحكم الروابط الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك بحكم التقارب الجغرافي، ولما تعرضت الجزائر للاحتلال من طرف فرنسا سنة 1830، أبدى السلطان المغربي عبد الحفيظ تضامنه وتعاطفه مع الشعب الجزائري وفتح بلاده لاستقبال المهاجرين الجزائريين الفارين من بطش الاستعمار الفرنسي، ومن أهم مظاهر هذا التضامن ما قام به سلطان مراكش حينما اصدر أمرا إلى ممثله بمدينة تيطوان بمساعدة الجزائريين ،جاء فيه: «..هم منَّا والينا ولا ندخر عنهم شيئا من المعونة إن تمكنا...» (خلاصي، 1999، الصفحات 65 - 68)، هذا بالإضافة إلى أن السلطان نفسه راسل مرة أخرى حاكم تيطوان طالبا منه الانتفاع من مواهب ومهارات الجزائريين في مختلف مجالات الحياة، وهذا بناءً على ما جاء في إحدى الرسائل، يقول فيها : «..وبعد... فقد بلغنا أن أهل الجزائر الذين يردون منها، ردها الله دار إسلام، فهم البحرية والطبخية، والعارفون بصنع البنبه والكورة والمدافع والمهارس...فبوصول كتابنا هذا إليك اخترهم، وأضف كل فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم، فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع...» (قاصري، 2001، صفحة 16).

ومع استمرار المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين، ازدادت العلاقات الجزائرية تمتناً وتضامناً، بل وصل الأمر سنة 1831م إلى تدخل جنود مغاربة في منطقة الغرب الجزائر بهدف مساعدة الجزائريين والتصدي للتوسع الاستعماري، وقد جاء تدخل المغاربة بعدما استنجد أعيان مدينة وهران بسلطان المغرب لتولي حكمهم، وهذا بعدما رفض محي الدين والد الأمير عبد القادر تولي الحكم بحجة كبر السن، وعليه تم تعين أبي الحسن ابن علي ابن سليمان ابن عم السلطان المغربي على ولاية الجزائر مدعما بخمس مئة من الجنود، وقد اتخذ من مدينة تلمسان مقرا له، غير

أن السلطة الاستعمارية استاءت من الأمر، وتوعدت باحتلال المغرب الأقصى (بوعبدلي، 1975، صفحة 23)، مما دفع بالسلطان المغربي تحت طائلة التهديدات والضغوط الفرنسية بسحب الجنود المغاربة وأميرهم إلى المغرب الأقصى (بوعزيز، 1996، صفحة 28).

ومع بداية مقاومة الأمير عبد القادر، اتصل هذا الأخير بالسلطان المغربي طالبا منه المساعدة ضد الفرنسيين، فما كان من السلطان المغربي إلا تلبية نداء المساعدة، حيث أمدَّهُ بالإمدادات البشرية والعسكرية، وشجع القبائل المجاورة للحدود على تقديم المساعدة للأمير عبد القادر، ومن أهم الرسائل التي وجهها هذا الأخير للسلطان مولاي عبد الرحمان كانت بتاريخ 20 أفريل 1844م يلتمس فيها الأمير من السلطان الدعاء له بالنصر، معتبرا إياه (خديم) بحضرته، راجيا رضاءه متوكلا على الله وعلى جانبه. غير أن مقاومة الأمير عبد القادر في هذه السنوات بدأت تدخل مرحلة التقهقر خاصة بعد انهزامه في معركة طاقين، والاستيلاء على زمالته ومكتبته، مما دفع به للجوء إلى الأراضي المغربية والاحتماء بمراكش بهدف الاستعداد والتأهب من جديد للعودة إلى المقاومة ضد الفرنسيين.

إلا أنَّه وبناءً على التهديدات الفرنسية باحتلال المغرب دفعت بسلطان المغرب إلى رفض تقديم المساعدة للأمير عبد القادر، وهنا تبدأ أول قطيعة في العلاقات الثنائية بين الجزائر والمغرب الأقصى، بحجة وجود اضطرابات داخلية نتيجة لتمرد بعض القبائل، مبينا هذا الرفض في اعتذار وجهه للأمير قائلا فيه : «...إننا نتمنى الحضور بأنفسنا، في غمار المسلمين مباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المسلمين، ولكن ما نحن فيه من قمع العتاه وكف البغاه جهاد، بل أفضل من جهاد النصارى حسبما نص على ذلك إمامنا مالك رحمه الله ونية المرء خير من عمله والسلام...» (بوعزيز، 1996، صفحة 51)، زيادة عملت السلطة الاستعمارية على دفع السلطان المغربي لطرد الأمير عبد القادر من مراكش، إلا أن السلطان المغربي رفض طلب طرد الأمير عبد القادر مما دفع بالسلطة الفرنسية إلى إرسال قوات عسكرية إلى مدينة وجدة بقيادة الجنرال بيجوBugeaud، واحتلالها ، وتكبيد الجيش المغربي هزيمة نكراء في الموقعة المشهورة بمعركة وادي ايسلي سنة 1844م، وفي نفس الوقت قامت القوات الفرنسة بتخريب ميناء طنجة، وضرب ميناء الصويرة، مع التهديد بمواصلة الزحف نحو فاس في حالة إن لم يستجيب السلطان المغربي لمطلب طرد الأمير عبد القادر من الأراضي المغربية (بوعزيز، 1996، صفحة 51).

فأمام هذه التهديدات والضغوطات الفرنسية دفعت بالسلطان مولاي عبد الرحمان إلى الاستجابة إلى مطالب الفرنسيين بعدما عقد معهم معاهدة صُلح في سبتمبر 1844م، والتي عُرفت بمعاهدة طنجة (العروي، 1999، صفحة 127)، وعليه عمل السلطان المغربي كل ما في وسعه لإلقاء

القبض على الأمير عبد القادر وتسليمه للفرنسيين، وتحريض بعض القبائل المغربية المجاورة للحدود الجزائرية بالتعدي ومطاردة أنصار الأمير عبد القادر، خاصة بعدما اقتنع أن أسباب المشاكل في المغرب جاءت بسبب تواجد الأمير عبد القادر على الأراضي المغربية، وبعدما فشل السلطان في إلقاء القبض على الأمير راسله قائلا:«...إما أن تُسلِّم نفسك إلينا، وإما أن تخرج من الحدود، فإن أبيت ستمنع بذلك الشعب الجزائري من رفع رأسه إلى الأبد..» (العربي، 1982، صفحة 282)، وجهز السلطان المغربي جيشا لمواجهة الأمير على الحدود، غير أنه تكبد هزيمة كبيرة على ضفاف نهر ملوية في ديسمبر 1847م.

وحفاظا على العلاقات بين الشعبين قرر الأمير الخروج من المغرب والعودة إلى الجزائر لمواجهة الفرنسيين، إلا أنه لم يستطع مواصلة المقاومة فاستسلم في 22 ديسمبر 1847م للقوات الفرنسية التي كانت تحاصره على الحدود (بوعزيز، 1996، صفحة 56).

على الرغم من الاتفاقيات التي أبرمتها السلطة الفرنسية مع السلاطين المغاربة لتقويض المقاومة الجزائرية، إلا أن الروابط الروحية والاجتماعية بين الشعبين لم تنقطع، بل إن المجتمع المغربي فتح أبوابه لكل المهاجرين الجزائريين، وأحسنوا معاملتهم، حيث وصل عددهم في نهاية القرن التاسع عشر حوالي 300 عائلة جزائرية (قاصري، 2001، صفحة 17)، وفي عام 1907م وصل عددهم إلى 20 ألف مهاجر غالبيتهم من عائلات محافظة انتقلت من الغرب الجزائري لتستقر حيث الاحتضان الشعبي وحماية السلطان (مقلاتي، 2008، صفحة 27).

زيادة على ذلك خوف سلاطين المغرب من احتلال السلطة الاستعمارية لبلادهم جعلهم يستمرون في القطيعة مع المقاومة الشعبية الجزائرية خلال طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبعد القطيعة مع الأمير عبد القادر، حدث نفس الشيء مع الشيخ بوعمامة حينما التجأ إلى " منطقة فقيق" بالمغرب الأقصى في الفترة الممتدة بين 1883 و1894م، حيث استطاع أن يكسب أنصار جدد، وازداد أتباعه وتقوى نفوذه في هذه المناطق الصحراوية، واستعد للمقاومة ضد الفرنسيين في الجزائر، غير أن موقف السلطان المغربي كان عكس موقف الشعب المغربي، حيث رضخ لمطالب الإدارة الاستعمارية بطرد الشيخ بوعمامة من الأراضي المغربية، ودخل في معارك طاحنة مع بوعمامة أسفرت عن تكبد جيش السلطان خسائر كبيرة في الأرواح، وقد اعتبر الشيخ بوعمامة أن السلطان المغربي خارج عن الشرع الإسلامي مادام يقتل المسلمين ترضية للأجانب (زوزو، 1983، الصفحات 18 - 33).

إلا أن مقاومة الشيخ بوعمامة مع بداية القرن العشرين أخذت في التقهقر نتيجة للحصار المفروض عليه من طرف السلطان المغربي من جهة والسلطات الفرنسية من جهة أخرى، ونظرا لتقدمه في السِّن، استسلم وطلب الأمان من السلطة الاستعمارية والاستقرار في زاويته إلى أن وافته المنية في 8 أكتوبر 1908م.

بعد أن قضت السلطة الاستعمارية على المقاومة الشعبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ،كانت في نفس الوقت تعمل على تهيئة الأجواء لاحتلال المغرب، وقد استطاعت تحقيق ذلك بعدما فرضت عليه معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م، والملفت للنظر والاهتمام أن الشعب الجزائري لم يتخلى عن نصرة إخوانه المغاربة على الرغم من الموقف الحكومي المخجل في الفترات السابقة، حيث تجند عبد الملك ابن الأمير عبد القادر في صفوف الجيش المغربي حين عيَّنهُ السلطان عبد العزيز قائداً لجيوشه في منطقة القصر الكبير لمحاربة السلطان عبد الحفيظ الموالي للفرنسيين، بعدها تقلد عدة مناصب عسكرية وسياسية، حيث عُيِّن نائبا لوزير الحربية المغربية، ثم قائداً للشرطة الدولية في طنجة، واستطاع أن يكوِّن جيشا نظاميا، وآخر شعبيا بدعم من الألمانيين والأتراك أعداء الفرنسيين (الله، 2005، صفحة 149)، لكن تطور وتسارع الأحداث واشتداد حدة التنافس بين الدول الأوروبية المتصارعة على المغرب، دفعت بالسلطة الاستعمارية إلى خلق تحالفات للقضاء على أية مقاومة شعبية، وخاصة مقاومة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي وعدته فرنسا بتقديم الدعم ضد الإسبان في حالة القضاء على مقاومة الأمير عبد الملك، وقد استطاع الخطابي القضاء على هذا الأخير بعد معركة طاحنة في شهر أوت 1924م.

على كل حال مقتل الأمير عبد الملك لم يعزز القطيعة بين الشعبين، بل ازدادت العلاقات والروابط الأخوية، وذلك لقناعاتهم أن كل هذه الاختلالات من صنيع السلطة الاستعمارية لكسر وحدة وتحالف الشعبين في مقاومة الفرنسيين، وقد تعززت وحدة الأخوة والنضال بين الشعبين في هذه الفترة من خلال تأسيس نجم شمال إفريقيا سنة 1926م بفرنسا، وأيضا تأسيس جمعية الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا سنة 1927م، التي عززت من روابط الصداقة والتضامن بين الطلاب المغاربة، هذا بالإضافة إلى مساهمة بعد الكُتَّاب الجزائريين في الصحف المغربية، مثل الصحفي عمر بن قدور الذي كان يكتب في صحيفة "اللواء المغربية" مُنَدِّدا فيها بالسياسة الاستعمارية في الجزائر والمغرب (قاسمي، 2002، صفحة 122).

وقد سمحت ظروف الحرب العالمية الثانية من تبلور توجهات ثورية للحركات الوطنية في المغرب والجزائر بهدف التنسيق العملي للثورة المسلحة ضد فرنسا، حيث أجريت عدة اتصالات بين

قادة الحركات الوطنية في البلدين وأوروبا والقاهرة خاصة بين حزب الشعب الجزائري بقيادة مصالي الحاج، وحزب الاستقلال المغربي بقيادة علال الفاسي، وتم الاتفاق على تشكيل جبهة موحدة لمقاومة الاستعمار الفرنسي في البلدان المغاربية، وقد تجسد ذلك من خلال تشكيل مكتب المغرب العربي عام 1947م، ولجنة تحرير المغرب العربي عام 1948م بالقاهرة برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي، إلا أن الاختلافات السياسية والاجتماعية والحسابات القطرية، والخوف من الارتباط بالثورة الجزائرية، افشل العمل العسكري الموحد (مقلاتي، 2008، صفحة 31).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات السياسية إلا أنها لم تؤثر على العلاقات بين الشعبين، بدليل تضامن الشعب الجزائري مع الملك محمد الخامس الذي خلعته الإدارة الاستعمارية من كرسي العرش في 20 أوت 1953م ونفيّه إلى جزيرة مدغشقر، وتعين مكانه " محمد بن عرفة" الموالي للفرنسيين، حيث احتجت جمعية العلماء المسلمين باسم الشعب الجزائري لدى السلطات الفرنسية، وبعثت رسالة للسلطان محمد الخامس إلى منفاه تستنكر فيها العمل الدَّنيء الذي أقدمت عليه السلطة الاستعمارية، وتعبر فيها أيضا عن تضامن الجزائريين مع جلالته (المدني، 1977، الصفحات 409 - 410).

ومع اندلاع الثورة الجزائرية شهدت العلاقات المغربية الجزائرية تطورا ايجابيا خاصة بعد استقلال المغرب سنة 1956م، إلا أن مسار هذه العلاقات أخذ منحى آخر بعد اختطاف طائرة الزعماء الخمسة المتوجهة من المغرب إلى تونس، حيث تبادلت قيادة البلدين الاتهامات حول مؤامرة الاختطاف، مما انعكس سلبا على تطور العلاقات في الستينيات أدى في النهاية إلى صراع مسلح نتيجة للتدخل العسكري المغربي في الأراضي الجزائرية سنة 1963م.

2. المو اقف المغربية من الثورة الجز ائرية:

لاشك أن المتتبع للعلاقات الجزائرية المغربية قُبيل اندلاع الثورة الجزائرية، سيلاحظ ذلك الحرص الكبير من كلا البلدين على تنسيق الجهود والمواقف للقيام بعمل عسكري مشترك وموحد ضد الاستعمار الفرنسي، فعقدت اللقاءات وتمت الاتصالات عبر مختلف البلدان العربية والأوروبية لتأمين الذخيرة والسلاح والدعم الخارجي، ولعل الهدف الأساسي من وراء التنسيق العسكري مع العناصر الوطنية المغربية ، هو تأمين النشاط العسكري وإدخال السلاح عبر القسم الشمالي للمغرب، غير أن عملية التنسيق والاتفاق على القيام بثورة موحدة لم يتحقق بسب الاختلاف في التوجهات الفكرية والسياسية، والنظرات القطرية الضيّقة، وعليه وفي هذا السياق سنكتفي

باستعراض بعض مواقف الدعم والتضامن المغربي مع الثورة الجزائرية، وبعض مواقف التصادم والتواطؤ ضد الثورة الجزائرية.

1.2 مو اقف الدعم والتضامن:

1- بعد اندلاع الثورة الجزائرية وتعدد اللقاءات والاتصالات بين القيادات الوطنية في المغرب والجزائر تم الاتفاق على عقد اجتماع في القاهرة يوم 11 جانفي 1955م بمنزل فتحي الدِّيب للبحث كيفية التنسيق لإدخال السلاح عبر الجهتين المغربية والجزائرية، وإقامة القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، وقد تم تحقيق ذلك عندما وصلت أول شحنة من الأسلحة على متن الباخرة دينا إلى ميناء الناظور (الذيب، 1984، صفحة 84)، وفيما يخص تقسيم السلاح اتفقت القيادتين في تعهد مكتوب على مايلي: «... كل ما وصل ويصل إلى أيدينا من السلاح والذخيرة والمال يأخذ منه إخواننا الجزائريون الثلثين، ونأخذ منه نحن المغاربة الثلث... »، كما نصّ التعهد على المساعدة في نقل نصيب الجزائريين إلى داخل القطر الجزائري (مقلاتي، 2008، صفحة 138).

2- تأسيس جيش التحرير المغربي يضم مجاهدين جزائريين ومغاربة تحت قيادة جماعية مشتركة، تتلقى تدريباتها بالمغرب، قبل أن تلتحق بالمناطق المحررة في البلدين، على أن يتواصل النضال إلى غاية تحقيق استقلال البلدين (الخطيب، جانفي 2002، صفحة 197)، ويذكر عبد الله مقلاتي حسب شهادة الطيب الثعالبي على تضامن وتعاون قادة جيش التحرير المغربي مع الثورة الجزائرية، وإصرارهم على استمرارية العمل المشترك (مقلاتي، 2008، صفحة 136).

3- بعد استقلال المغرب سنة 1956م لعب الملك محمد الخامس دورا كبير في دعم الثورة الجزائرية والدفاع عن عدالة القضية الجزائرية سياسيا ودبلوماسيا في المحافل الدولية، على الرغم من الضغوط والمساومات الفرنسية التي كانت تفرض عليه مقابل التخلي عن دعم القضية الجزائرية، وقد أكد ذلك في لقائه مع قائد جيش التحرير المغربي عبد الكريم الخطيب بأنه سيبقى ملتزما بوفائه للثورة الجزائرية ، حيث يروي هذا الأخير قائلا: «...يا صاحب الجلالة في غيابكم أنجزنا مع الإخوان الجزائريين ميثاقا مكتوبا لكفاح وتحرير شمال إفريقيا، ولكن الآن حصلت بلادنا على الاستقلال فيجب أن نتمسك بوعودنا الخاصة بالكفاح المشترك مع الجزائريين لأن استقلال الجزائر من استقلال المغرب، وإلا نحن غير قادرين على مساعدة الجزائر.فقال لي: انأ أعاهدك على أن أبقى على عهد هذا الميثاق، وإني سأقوم بهذا الدور وأوديه أحسن أداء..» (مقلاتي، 2008، صفحة 144)، هذا بالإضافة إلى زيارته إلى مدينة وجدة الحدودية في 15 سبتمبر 1956م، حيث ألقى خطابا هاما حول القضية الجزائرية التي قال عنها: «..إن الإنسانية جمعاء تتألم بشدة من الحوادث التي تجرى اليوم في الجزائر، فالضمير العالمي وأفاضل الرجال في فرنسا والجزائر يبعثون نداءً حارا إلى المسؤولين لكي

يضعوا حدا لسيل الدماء ، ولكي يهتموا بإيجاد حل يُرضي مطالب الشعب الجزائري، ويحترم في نفس الوقت مصلحة فرنسا ويضمن مصالح الفرنسيين الذين يفضلون البقاء في الجزائر، إن الشعب الفرنسي الذي أعرب عن تفهم عميق للمشكلتين التونسية والمغربية سوف يتعرض من دون شك للقضية الجزائرية بنفس التفهم ونفس الواقعية..» (الخامس، 1957، صفحة 10).

ومواصلة لدعم القضية الجزائرية دبلوماسيا أرسل الملك محمد الخامس ولي عهده الأمير الحسن إلى الحكومة الفرنسية بباريس لينقل انشغالات المغرب بخصوص القضية الجزائرية مقترحا وساطة ملك المغرب بين السلطة الفرنسية وجبهة التحرير الجزائرية، كما ابلغ ولي العهد الأمير الحسن أن المغرب سيقف إلى جانب الجزائر خلال الدورة الأممية الحادية عشر التي ستنعقد في نهاية سنة 1956م (الوطني، 1956، صفحة 6).

وخلال زيارة الملك سعود بن عبد العزيز إلى المغرب يوم 22 فيفري 1956م تحادثا الطرفان حول القضية الجزائرية، وأصر الملك محمد الخامس على أن تحل القضية الجزائرية وفقا لرغبات الشعب الجزائري (المدني، 1977، الصفحات 296 - 297).

- تطوع بعض الثوار المغاربة في صفوف جيش التحرير الوطني لأكبر دليل على قوة التضامن والتلاحم بين الشعبين، حيث تبرعوا للجزائريين بسلاحهم، فحسب شهادة محمد يوسفي يذكر قائلا: «...لقد ساعدونا وأعطوا لنا الأسلحة وموَّنونا كما أعطوا لنا مراكز...» (المدني، 1977، صفحة 148) (يوسفي، صفحة 65)، وحسب شهادة الخطيب يذكر: «..أنه أرسل ثلاث فرق من المجاهدين المغربيين ضمت مائة وأربعين مسلحا إلى الجزائر للالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية.. » (المدني، 1977، صفحة 149).

5- تشريفا وتكريما لاحتفال الجزائر بذكرى رجوع الملك محمد الخامس إلى العرش في 20 أوت 1955م والذي تزامن مع هجومات الشمال القسنطيني، وإيمانا بتضامن الشعب المغربي مع الجزائريين في محنتهم أعلن الملك محمد الخامس أن تاريخ 16 أفريل 1958م يوم للتضامن مع الجزائر، حيث وجه خطابا للشعب المغربي مما جاء فيه : «...إننا نطالب في هذه الساعة من شعبنا الملتف حولنا، أن يشاطرنا الليلة ونهار غد في الإعراب عن تضامنه وتأييده للشعب الجزائري المكافح في سبيل حريته واستقلاله، فيدعو له في أعقاب الصلوات ويبدل ما يطيقه من المساعدات المادية والأدبية لتخفيف آلامه...» (عبادو، 2005، صفحة 59).

6- استطاعت قيادة الثورة أن تؤسس قاعدة عسكرية على الحدود الغربية للجزائر بهدف تموين الثورة التحريرية بالأسلحة والذخيرة، وتأمين الطريق لتسهيل تنقل أفراد جيش التحرير الوطني نحو الأراضي المغربية للاستراحة والتطبيب والتكوين والتدريب العسكري، هذا بالإضافة إلى إنشاء مصانع

وورشات لصناعة الأسلحة الخفيفة والمتفجرات، ومن أهم هذه القواعد نذكر: العرايش، لخميسات، وجدة، كبدانة، بركان، ملوية، الناظور، الدار البيضاء....وغيرها (قنطاري، 1995، صفحة 123).

2.2 مو اقف التصادم والتواطؤ:

1- على الرغم من محاولة بعض القادة الجزائريين عشية اندلاع الثورة الجزائرية دعوة العناصر الوطنية المغربية لتنسيق الجهود في العمل العسكري ضد الفرنسيين، إلا أنهم فشلوا في ذلك، فحسب شهادة محمد بوضياف يذكر: «.. أن بن بلة وخيضر اجتهدا عشية اندلاع الثورة في كسب موقف علال الفاسي من اجل ثورة منسقة، وأمام التماطل التفّ بن بلة إلى التحالف مع الخطابي ومساعديه الثوريين، وقد أُعلم علال الفاسي وعبد الكبير الفاسي أثناء الاتصالات بموعد اندلاع الثورة المقرر في 15 أكتوبر 1954م، وتتسبب إعلام علال الفاسي ليزيد بالموعد في تأجيلها إلى الفاتح نوفمبر...» (باحثين، 1999، صفحة 868)، ومن خلال هذا التصريح يبدوا لنا وحسب ما أشارت إليه بعض الكتابات المغربية ،أن حزب الاستقلال المغربي بقيادة علال الفاسي لم يكن يتبنى الخيار العسكري، وكان يفضل العمل السياسي ضد الفرنسيين ، وهذا ما أكده احد القياديين في حزب الاستقلال المغربي احمد بلافريج قائلا : «..إننا لا ننوي تحقيق أملنا باستعمال وسائل العنف والقوة..» (مقلاتي، 2008، صفحة 122)، غير أنه بعد نجاح الثورة الجزائرية في الانطلاق بقلة إمكانياتها وتطمينات المصريين بتقديم الدعم، غيَّر من موقف علال الفاسي ليتبني الخيار العسكري فيما بعد.

2- في إطار الدعم المغربي للثورة الجزائرية تقرر عقد مؤتمر بتونس بين الدول المغاربية من اجل إيجاد مخرج للقضية الجزائرية والدعوة للوحدة المغاربية، غير أن الوفد الجزائري الذي كان متواجداً بالرباط تمت قرصنة طائرته من طرف القوات الجوية الفرنسية هو متوجه إلى تونس في 22 أكتوبر1956م،الأمر الذي أحدث هزَّة كبيرة بين الشعبين وأثَّرا سلباً على العلاقات بين البلدين، ودارت الشكوك حول وجود مؤامرة مُدبَّرة من طرف ولي العهد الأمير حسن، وهو ما أكده فتحي الدِّيب مستندا على المقال الذي نشره محمد اليوسفي بجريدة الرأي العام المغربية في عددها الصادر يوم 24 أكتوبر1956م، حيث تطرق اليوسفي إلى كل تفاصيل الرحلة من الركوب إلى غاية عملية القرصنة، وقد كشف أيضا عن بعض خبايا التآمر الذي تمَّ على أرضية المطار بتعليمات من رئيس الديوان الملكي (الذيب، 1984، صفحة 273)، بل ويؤكد فتحي الدِّيب بصفته آنذاك رئيس المخابرات المصرية، بأنه وصلته تقارير من دوائر القصر الملكي تفيد بأن حاشية الأمير الحسن كانت وراء تدبير هذه المؤامرة مستندا في أقواله على عدة القرائن (الذيب، 1984، صفحة 273)، غير أن الزعيم التاريخي حسين آيت أحمد نفي ذلك في حوار مسجل من باريس لقناة" ميدي1 سات المغربية" بُث ردا على اتهام حسنين هيكل عبر قناة الجزيرة القطرية للعاهل المغربي الراحل الملك الحسن الثاني

بالوشاية لصالح الفرنسيين، وتمكينهم من رصد واختطاف الطائرة التي كانت تقل قادة الثورة الخمسة قائلا : «..أن فرنسا لم تكن في حاجة إلى وشاية لرصد الطائرة التي كان تُقله رفقة أحمد بن بلة، محمد خيضر، محمد بوضياف ومصطفى الأشرف، لأن الاستخبارات العسكرية الفرنسية كانت في تلك المرحلة تتوفر على فروع لها في المغرب وتونس والقاهرة..»، وخلال استضافته في برنامج "ملفات الشاشة" للقناة التلفزيونية الفضائية المغربية "ميدي1 سات" المسجل من مقر معهد العالم العربي في باريس، قال : «..إنه لم يكن من الوارد نهائيا أن يكون هناك تواطؤ من السلطة المغربية، ما دام أن ولي العهد أبلغ الملك محمد الخامس بتحذيره ومخاوفه بخصوص المخاطر التي قد يتعرض لها الملك، الذي كان يرغب في أن يستقل نفس الطائرة التي تقل القادة الجزائريين..» (أحمد، 2008).

3- خلال سنة 1957م بدأت بعض الخلافات تدُبُ بين القيادتين المغربية والجزائرية بسبب التباينات حول مشكلة الحدود، ودعوة علال الفاسي إلى مغربية بعض الأراضي المجاورة للحدود المغربية ،خاصة منطقة تندوف وما جاورها، بل امتد الأمر إلى تجريد بعض القبائل من أسلحتها لكونها تقدم الدّعم والعون للثوريين الجزائريين، زيادة على محاصرة بعض وحدات جيش التحري الوطني، وقطع الإمدادات العسكرية في مناطق عبور السلاح باتجاه الجزائر (A.N.A).

4- بعد انعقاد مؤتمر طنجة في 27 أفريل سنة 1958م بين دول المغرب العربي، وخوفا من تحقيق حلم الوحدة المغاربية عملت السلطة الاستعمارية بقيادة الجنرال ديغول إلى بث التفرقة بين الدول المغاربية، والسعي لعدم تنفيذ قرارات مؤتمر طنجة الداعية للوحدة المغاربية، ودعم القضية الجزائرية، لأنها تشكل خطرا على استمرارية تواجد الفرنسيين في الجزائر، حيث استطاع الجنرال ديغول أن يخترق ذلك التضامن القائم بين الجزائر والمغرب وفك الارتباط بين القيادتين من خلال طرح مسالة الحدود من جهة، ومسالة توحُّد الجيش المغربي والجيش الجزائري من جهة أخرى، مما سيشكلان خطرا على الجيش الملكي المغربي، الأمر الذي دفع إلى تواطؤ السلطات المغربية مع الإدارة الاستعمارية ، حيث اندسّت عناصر مخابرتية محسوبة على الجيش الفرنسي في صفوف جيش التحرير المغربي، فقاموا بارتكاب جرائم ضد الشعب الجزائري، وذلك لوضع حاجز أمام أي شكل من أشكال وحدة النضال التي يسعى الشعبين الجزائري والمغربي لإقامتها في محاربة الاحتلال الفرنسي المشترك (الميلي، 1983، الصفحات 85 - 87).

أما فيما يخص مسالة الحدود فقد عمل الساسة المغاربة على استفزاز جبهة التحرير الوطني، ومن بينهم علال الفاسي الذي قال في إحدى جولاته إلى جنوب فاس: «..إن أفضل دعم نقدمه لإخواننا الجزائريين هو أن يُعاد للمغرب الأقاليم الصحراوية التي ألحقتها فرنسا عنوة بالجزائر...»، وقد حاول علال الفاسي استخدام جيش التحرير المغربي للتوغل إلى الأرضي الجزائرية لتأكيد مغربيتها،

والدخول في صدامات مع الجزائريين، ومنع عبور السلاح إلى الجزائر، وأمام هذا التصرف تقدمت جبهة التحرير الوطني رسميا لدى السلطات المغربية تطلب منها الحد من نشاطات الجيش المغربي التي تمس بالسيادة الوطنية والوحدة الترابية.

خاتمة:

مما سبق ذكره يبدوا أن حقيقة الموقف الغربي من الثورة الجزائرية كان داعما ومساندا للثورة الجزائرية مند انطلاقاتها حكومة وشعبا، غير أن السلطة الاستعمارية عملت جاهدة على تطبيق سياسة فرق تسد، حتى تستطع أن تنفرد بكل دولة على حدى ليتم إخضاعها كليًا الواحدة تلو الأخرى، ولكن هذا ما لم يتحقق، فكل حسابات الإدارة الاستعمارية كانت خاطئة، بفضل قوة الثورة الجزائرية كانت احد الأسباب القوية في استقلال المغرب، وهذا يعود إلى التنسيق المشترك بين القيادتين المغربية في توجيه ضربات موجعة للاستعمار.

هذا بالإضافة إلى أن المغرب حاول جاهدا بقيادة ملكها محمد الخامس وخصوصا بعد تحقيق استقلالها الوطني، أن يجعل بلاده قاعدة خلفية للثورة الجزائرية للتموين بالأسلحة والأدوية والمجاهدين المغاربة، لان الملك أصبحت لدية قناعة بأن استقلال الجزائر من استقرار المغرب، على الرغم من وجود بعض الخلافات الهامشية التي كانت من ورائها السلطة الاستعمارية.

بينما تبقى بعض الشكوك تساور الباحثين حول دور الأمير الحسن الثاني في دعمه للثورة الجزائرية يحتاج إلى بحوث تاريخية معمقة لكشف الحقائق، وخصوصا اتهامه في مؤامرة اختطاف طائرة القادة الخمس، وفرض الأموال مقابل إدخال السلاح، حسب ما أكدته شهادة المجاهد دحو ولد قابلية قائلا: «...أن الملك المغربي الراحل محمد الخامس وافق على تقديم خمسة آلاف قطعة سلاح لجيش التحرير ولكن الملك الراحل الحسن الثاني الذي كان وليا للعهد آنذاك اشترط الحصول على مبلغ مالي مقابل كل قطعة سلاح تتحصل عليها الثورة..»، وتابع ولد قابلية شهادته مؤكدا: «...أن جيش التحرير اضطر إلى اقتسام حمولة سفينة معبأة بالأسلحة قادمة من ألمانيا مع الجيش المغربي مقابل السماح بتمريرها عبر التراب المغربي إلى مقر قيادة جيش التحرير في الناحية الغربية و الواقعة في مدينة وجدة المغربية..» (شهادة دحو ولد قابلية، 2008)، غير أن الشيخ محمد خير الدين ينفي ذلك ويؤكد على أن الملك محمد الخامس قدّم كل التسهيلات لإيصال شحنات السلاح إلى الثوار الجزائريين وفي ذلك يقول: «...عندما وصلت إلى طنجة أول باخرة تحمل سلاحا لقوات جيش جبهة التحرير الجزائرية، وتعذر الإفراج عما بها من السلاح، اتصلت بالسلطان وأخبرته بما وقع، فأصدر أمره الكريم بأن تقوم حافلات وشاحنات القوات الملكية العسكرية بتفريغ الشحنة من الباخرة الراسية في ميناء طنجة ونقلها إلى وجدة، وتسليمها إلى مراكز قيادة جيش التحرير هناك..» (الدين، 1989، صفحة 182).

كما تجدر الإشارة إلى أمر مهم وحسب نظرنا، أن محاولات الملك محمد الخامس طلب الوساطة بين الفرنسيين والجزائريين، وحرصه الشديد على دعم القضية الجزائرية، يثير شكوك ويطرح عدة تساؤلات ومنها: هل هذه المحاولات والتحركات الدبلوماسية حقيقة تهدف إلى دعم القضية الجزائرية في المحافل الدولية، أو من اجل الحفاظ على مكسب الاستقلال وخوفا من استمرار العمليات العسكرية بين الطرفين وانعكاساتها على المغرب؟ وإلا بماذا نفسر الأوامر التي أعطاها الملك محمد الخامس لتوقيف العمليات العسكرية للجيش المغربي ضد الفرنسيين؟، مما يعني توقف الدَّعم العسكري لجيش التحرير الجزائري المتواجد على الحدود، وهذا يتناقض مع العهد الذي أعطاه الملك محمد الخامس لجبهة التحرير الوطني بعد عودته من المنفى.

زيادة على ذلك بالرغم مما شهدته العلاقات المغربية الجزائرية طيلة الثورة الجزائرية من توترات وتصادمات، إلا أن جبهة التحرير الوطني حاولت أن لا تفرط في المغرب، وأن تستثمر التضامن المغربي إلى أبعد الحدود ، لكن ألاعيب السياسة الديغولية في كسر الوحدة المغاربية، أدخل البلدين خلال الستينات في تصادمات عسكرية بسبب مسالة الحدود، والتي أدت إلى حرب بينهما سنة 1963م عرفت باسم "حرب الرمال".

قائمة المراجع:

أولا: الوثائق الأرشيفية

GPRA A.N.A. (بلا تاريخ). Le Maroc et la Révolution Algérienne.

ثانيا: المصادر

أحمد توفيق المدني. (1977). حياة كفاح 1925 - 1954 (المجلد ج2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

فتحي الذيب. (1984). عبد الناصر وثورة الجزائر. القاهرة: دار المستقبل العربي.

محمد خير الدين. (1989). مذكرات محمد خير الدين (الجزء 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ثالثا: المراجع

أبو القاسم سعد الله. (2005). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. لبنان: دار الغرب الإسلامي.

إسماعيل العربي. (1982). المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

عبد الحميد زوزو. (1983). ثورة بوعمامة 1881 - 1908 (الجزء 2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

عبد الله العروي. (1999). مجمل تاريخ المغرب (المجلد ج3). المغرب: المركز الثقافي.
عيسى بابانا العلوي. (1999). أبعاد الملك الحسن الثاني. (ترجمة: عبد الرحيم حزل) الرباط: دار نشر المعرفة.
مجموعة باحثين. (1999). مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية. (دار الهدى) الجزائر: منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس.
محمد الميلي. (1983). المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب. بيروت: دار الكلمة للنشر.
يحي بوعزيز. (1996). ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

رابعا: مقالات الدوريات والصحف

بوعلام قاسمي. (2002). البعد المغاربي في أيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية 1911-1937. مجلة المصادر (ع7).
علي خلاصي. (1999). صناعة المدافع في الجزائر. مجلة التراث (ع10).
محمد قنطاري. (1995). الثورة الجزائرية وقواعدها الخلفية بالجهة الغربية والعلاقات الجزائرية المغربية ابان ثورة التحرير. مجلة الذاكرة (ع3).
محمد يوسفي. (بلا تاريخ). مجلة الباحث (عدد خاص).
المهدي بوعبدلي. (1975). موقف ملك المغرب من الجزائر أثر الاحتلال الفرنسي. مجلة الأصالة (ع28).
جبهة التحرير الوطني. (3 12, 1956). جريدة المقاومة الجزائرية (ع3).
حسين آيت أحمد. (26 05, 2008). آيت أحمد ينفي تورط الحسن الثاني في اختطاف طائرة قادة الثورة. جريدة صوت الأحرار.
شهادة دحو ولد قابلية. (14 06, 2008). جريدة صوت الأحرار (العدد 3136).
محمد الخامس. (11 03, 1957). من خطب محمد الخامس. جريدة المقاومة الجزائرية (ع8).

خامسا: الرسائل الجامعية

عبد الله مقلاتي. (2008). العلاقات الجزائرية المغربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية 1954 - 1962. (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر) الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة.
محمد السعيد قاصري. (2001). العلاقات الجزائرية المغربية 1830 – 1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا). (رسالة ماجستير) الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

سادسا: الملتقيات

السعيد عبادو. (2005). أمجاد وأثار المغفور له محمد الخامس كقائد فد دعم الثورة الجزائرية. ندوة تاريخية دولية. الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير المغربي.
عبد الكريم الخطيب. (جانفي 2002). شهادة عبد الكريم الخطيب، (ندوة تاريخية دولية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير المغربي). الرباط: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير المغربي.